عرض كتاب:

"رغبة القتل"

للمؤلف ايمون كولنز

المدرس المساعد
غفران يونس هادي(*)

يعد كتاب "رغبة القتل "من أهم وأقوى الكتب التي ناقشت خفايا الانضمام الى الجيش الجمهوري الأيرلندي وكيفية التخطيط الى عمليات الاغتيال ضد ضباط وقيادات في الجماعات المسلحة الاتحادية والتي كانت تمثل البروتستانت.

ظهر الكتاب المؤلف من ٣٧١ صفحة والذي نشرته دار(Granta Books) بعد اتفاق الجمعة العظيمة في عام ١٩٩٨، شرح فيه المؤلف تفاصيل رحلة من انضمامه الى الجيش الجمهوري الايرلندي ومعاصرته للانشقا قات التي طالت هذا التنظيم الى اعتكافه ورمي السلاح ورفضه القيام بكل عمل مسلح.

الكتاب مليء بالاسماء المستعاره التي كان الج يش الجمهوري الايرلندي يطلقها على قياداته فخلال صفحات الكتاب وفصوله من الصعوبة أن نجد أسماء صريحة لهذه القيادات، بل أن المؤلف والذي قضى حياته عنصراً فاعلاً في العديد من وحدات هذا الجيش كان بالكاد يعرف الاسماء الحقيقية لهذه القيادات.

(*) مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

ولد كولن في ع ام ١٩٥٤ والتحق بالجيش الجمهوري الايرلند ي في أواخر ١٩٧٠ وأصبح عضواً في استخبارات هذا الجيش لأحد وحداته المهمة في العاصمة بلفاست التي كانت مسؤولة عن جمع المعلومات حول القيادات وتقديمها للوحدات المسؤولة عن الاغتيال.

يقع الكتاب في ست وعشرين فصلاً ركز بعضها حول الاختلال النفسي الذي شعر به المؤلف ولاسيما عندما سار بجنازة (أيفن توماس) القيادي في فوج الدفاع عن الستر[١] وهو أحد الذين قام كولون بقتلهم وكذلك شعو ره بالذنب عندما التقى بعائلة توماس بالصدفة ، وشعوره بالندم العميق لأنه كان جزءاً من عمليات قتلهم .

والفصول الاخرى شرح فيها مواقفه من أنضمامه الى الجيش الجمهوري الايرلندي وكيف سيطرت عليه فكرة أيرلندا الموحدة لسنوات طويلة.

فكرة الكتاب جاءت بعد ظهور أيمون كولون في احد الافلام التي بثتها محطة ITV تطرق فيها الى الاعمال التي وصفها "بالاعم ال القذره" التي قام بها خلال حي اته في الجيش الجمهوري الايرلندي أما هذا الكتاب فقد وصفه في المقدمة "بأنه كل الحقيقة وليس جزءاً منها كما جاء في البرنامج الذي عرضته المحطة".

يوضح كولون بأن التدريب على القتل يتطلب منك أن تعزل نفسك عن كل شيء انساني تجاه من تريد أن تقتل فلا نحاول ان نعرف عائلته ولا ننظر الى تفاصيل حياته الاجتماعية، بل نقنع أنفسنا بأننا نقتل أشخاصاً معزولين عن أي حياة أجتماعية، لكننا لم ندرك بأننا سنحمل معاناة عوائلهم الى موتنا.

يبدأ المؤلف في الفصول الاولى بالتعبير عن أسفه لكل ضحاياه لكنه يؤكد ان الاسف أو الشعور بالندم هو ليس بالامر الكافي، فالغرض من الكتاب كما أوضحه هو كيفة خلق أرواح جديدة تعيش بعقليات جديدة بعيدة عن العنف موضحا بأنه لايمكن خلق هذه الارواح ما لم

---

[١] **فوج الدفاع عن الستر (UDR) Ulster Defence Regiment هو أكبر تجمع بروتستاني أنشيء عام ١٩٧١ من قبل البريطانين لتحل محل قوات B–Special ، قام هذا الفوج بالعديد من عمليات القتل في الاحياء الكاثوليكية في أيرلندا الشمالية .أنظر:**

ED moloney and Andy Pollak, Pasiley, poolbeg,1986,p380

نحاول أن نطهر أنفسنا وأن نواجه أعمالنا الماضية ونحاول أن نفهم القوة التي دفعتنا الى أن نقوم بهذه الافعال لكي نتمكن من بناء مجتمع نضمن له الحماية من العنف السياسي.

يرى المؤلف أن وسيلة العرف لم تكن هي الوسيلة المثلى لإ نهاء حالة التميز التي كان يعاني منها الكاثوليك في أيرلندا الشمالية في حق الحصول على العمل وفي تنظيم الدوائر الانتخابية التي كانت بالغالب يتم تقسيمها بالطريقة التي تجعل البروتستات هم الذي ن يحظون بأكبر عدد من المقاعد.

كولون يذهب الى أبعد من حالة رفضه للعنف باتجاه رفضه فكرة قيام أيرلندا الموحدة ويقول أنها فكرة غير منطقية فالكاثولي ك هم أقرب للبروتستانت في أيرلندا الشمالية من الكاثوليك في أيرلندا الجنوبية، وبدلاً من محاولات تجسيد الفرقة في المجتمع داخل ايرلندا الشمالية عندما يقوم كلاً من الكاثوليك والبروتستانت بالاحتفال في أيام يعدونها أعياد اً خاصة بهم يرى انه من الافضل لكلا الطرفين محاولة فهم أفكار وثقافة الاخر فالنظر بعمق يجعل كل طرف يشعر أنه انعكاس للاخر. يرى كولون "ان أحد الجوانب المضيئة في رحلتي هي قراءتي للكتب التي تخص الاتحاديين (البروتستانت)، فهي ساعدتني في فهم الفكر الاخر وبالتالي بدأت بالاقتناع بأننا متشاركون في أيرلندا الشمالية".

وبدلاً من المسيرات التي غالبا ماكانت تصاحبها أحداث عنف يوجه كولون أهتمامه الى أهمية الاحتفاظ بخصوصية كل مجتمع بشرط ان تساهم في نشر ثقافة السلام وليس العنف.[1] يؤمن كولون أن الحرب قد انتهت في ايرلندا الشمالية لكنه في الو قت ذاته لا يأمل ان تحصل ايرلندا الشمالية على الكثير من الاشياء مع انتهاء حالة الحرب.

---

[1] حافظ الاثنان الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا الشمالية على احياء ذكرى احداث مهمة ، فالبروتستانت يحتفلون سنويا بذكرى انتصار وليلم أوف اورنج عام ١٦٩٠ على الملك الكاثوليكي جميس الثاني لذلك ظل هذا الحدث يرتسم بكونة نصرا عظيما على الكا ثوليك فهم ينضمون المسيرات على شكل مواكب تضم الفرق الموسيقية الغنائية وتقرع فها الطبول الذي يتصاعد عند الاقتراب من المناطق الكاثوليكية ، وبالمقابل فأن الكاثوليك يحتفلون بذكرى القديس باترك وهو أول من بشر بالديانة المسيحية في أيرلندا . أنظر :

David Eschmitt,Ethic conflict in Northern Ireland International aspect of the conflict management ,London ,cornell university 1977,p230

يرى كولون أن احداث الاضراب عن الطعام والتي قام بها سجناء الجيش الجمهور الايرلندي كانت الاعنف في مراحل الصراع، الاضراب الذي بدأ برفض ارتداء الملابس الخاصة بالسجن وطالبوا بمعاملتهم على انهم سجناء سياسيون في حين رفضت حكومة مارغريت تاشر آنذاك الا ان تعدهم سجناء أرهابيين ، مما دفع العديد منهم الى توسيع دائرة الاحتجاج الى الاضراب عن الطعام مما أدى الى وفاة ١٩ من أعضاء الجيش في ما بات يعرف في القسم B والذي يضم عناصر الجيش الجمهوري الايرلندي مثل (بوبي ساندس) أحد أبرز الذين استمروا في الاضراب الى حد الموت وبعد وفاة (بوبي ساندس) قامت "وحدت النخبة " وهي أحدى الوحدات التابعة للجيش الجمهوري الايرلندي بالعديد من عمليات القتل لجنود بريطانيين .

مرحلة أنقسام الجيش الجمهوري الأيرلندي فرضت ن فسها على العديد من فصول الكتاب ، فغالبا ماكان التعاون بين الفصائل المنشقة متجسداً في مرحلة أضراب السجن اء للحصول على التأييد الجماهيري ، الا أنها في مراحل أخرى شهدت خلافات حادة جعلت كل جناح يحاول التجسس وجمع المعلومات حول تحركات الاخر، وجد كولون نفسه ينخرط في جناح جيش التحرير الايرلندي اليساري الاتجاه وبد أ يأخذ المعلومات من شخص يسمى "الرجل الجليدي " وفي هـــذه المرحلة قام بعملية اغتيال لأحد قيادات رابطة الدفاع عن الستر (UDA Ulster defense association وهي تجمع اتحادي عسكري.

في عام ١٩٨٥ أعتقل كولون وبقى في السجن عامين وبعد خروجه من السجن قام الجيش الجمهوري الايرلندي بنفيه وطالبه بمغادرة أيرلندا الشمالية وبالفعل غادر الى أمريكا ومن ثم الى بريطانيا التي عمل فيها لمدة عامين والى أيرلندا الجنوبية وعاش في دبلن ،لكن حياة المنافي وصفها كولون بأنها أعادت بناء حياته رغم الوحدة التي عاش فيها الا أن لقاءه بشخصيات ساهمت في انتشاله من وحدته وغضبه من ماضيه جعلته ينظر الى المنفى بأيجابية ولا سيما في دبلن أذ عمل مع (الاب بيتر ماكفيرا) الذي أعجبه هدوءه ومعرفته بالسياسة وقد طور معه دراسة أعدها حول التعليم في السجن واثره في خلق الحركات الثورية ، عمل كولون في دبلن في أحد الجمعيات الخيرية التي تختص بالمشردين والمدمنين ورغم محاولة احد قيادات جيش التحرير

الايرلندي وزيارته له في دبلن وطلبه عودته الى هذا التنظيم، الا أن كولون رفض ذلك فالعودة لم يكن لها ذائقة حسنة في نفس كولون.

انتقاله في المنافي وابتعاده عن العائلة رغم أنها أعادت بناء ذاته الا أنها في الوقت نفسه جعلته يشعر بالانفصال والوحدة عن عالم ينتمي اليه، فقرر العودة الى ايرلندا الشمالية والعيش مع أسرته واطفاله عام ١٩٩٤ وأنتج برنامج في عام ١٩٩٥ متحدثا فيه حول تفاصيل حياته كعضو في الجيش الجمهوري الايرلندي. ثم جاء هذا الكتاب الذي اقترب به بشكل واضح من التفاصيل الدقيقة من عمليات تنظيم القتل الى اختيار من يقتل ؟ فالرعب والخوف والندم والشعور بعدم الانسانية كلها مشاعر تشعر بها عندما تتفاعل مع سطور هذا الكتاب.

الا أن تفاصيل ماورد في الكتاب وما عرض من فلم يسرد فيه قصص ضحاياه لم ترق فكرتها للبروتستانت الذين غضبوا من أطلاق سراح شخص يعترف بالقتل، كما أن فكرة الكتاب لم تنسجم أيضا مع توجهات الجيش الجموري الأيرلندي الذين رأوا أنه من الافضل ان لا يتحدث بهذه التفاصيل التي أبعدوه بسببها الى خارج أيرلندا الشمالية.

وفي ٢٩ يناير من عام ١٩٩٩ تم اغتيال أيمون كولون وقد اتهم الجيش الجمهوري الأيرلندي بعملية اغتياله وكان كولون قد كتب على حائط بيته قبل يوم من مقتلة عباره "أيمون كولون العميل البريطاني ١٩٨٥-١٩٩٩".

وقد كتبت صحيفة الغارديان حول جنازته " بحزن ولكن بفخر شيعت زوجة كولون وأبناؤه ومعهم ٣٨ من الاصدقاء جنازته، كولون أحد رجال الجيش الجمهوري الايرلندي الذي كتب حول وحشية هذا التنظيم، ومقتله سيحي الكتاب وسيكون شاهد لأكثر العمليات العنيفة التي شهدتها مدينة أرماغ مدينة الاضراب عن الطعام والتضحيات و التي كانت تلتف بظلال العلم البريطاني".

كتب كولون في نهاية كتابه "أملي في يوم ما وفي مكان ما سيتعلم شخص ما شيئاً مفيد من قصة حياتي التي رويتها". ولعل هذه الرسالة التي جاءت في آخر الكتاب كانت بمثابة طي لصفحات حياته أكثر مما هي لطي صفحات هذا الكتاب.